

بعض الأدلة التصويرية والنصية على وجود حدائق الحيوان في حضارتي مصر القديمة وبلاد النهرين

د فوزية عبد الله محمد

تهدف تلك الدراسة إلي مناقشة مدى إمكانية وجود ما يمكن تسميته بحدائق الحيوان في كل حضارتي مصر القديمة وبلاد النهرين.¹

ويمكن أن نطرح تساؤلا حول مدى إمكانية وجود " حدائق الحيوان " - كاصطلاح حديث ومعروف لنا - في العصور القديمة في الشرق الأدنى القديم ، حيث عكست بعض المناظر والنقوش والنصوص دليلا على وجود عدد كبير من الحيوانات النادرة التي تم استجلابها لبيئة الشرق الأدنى القديم.²

فقد سجلت النصوص والرسوم والنقوش القديمة دليلا على تاريخ حضاري للعلاقات البدائية بين البشر والحيوانات ، كما عثر على عظام حيوانية في معظم المواقع الأثرية في الشرق الأدنى القديم مما جعل بعض العلماء يقر بالأهمية الرمزية والحيوية للحيوانات في الشرق الأدنى القديم.³

وكانت الحدائق جزءا مهما من القصر أو المنزل وملحقاته ، وكذلك البستان المزروع بالزهور ، والنباتات ، والأشجار ، والذي قد يزود ببركة صغيرة من أجل قضاء وقت الراحة والمتعة ، ومن أمثلتها حديقة قصر الملك أخناتون في تل العمارنة (شكل ١) ^٤ ، كما حفظت رسوم ملونة من مقبرة نب أمون يدير المدينة (TT24) ترجع لعصر الملك تحتمس الثالث - الأسرة الثامنة عشرة - محفوظة بالمتحف البريطاني-

* مدرس بكلية الآثار - جامعة القاهرة

¹ L.Trümpelmann , Jdg ,im Reallexikon der Assyriologie , Band 5,(1980) , 236ff.

² B. Hesse, Husbandry , Dietary , Taboos and the bones of the Ancient Near East in; Methods in Mediterranean m Historical and Archaeological views, (1995) , 198ff

³ B. Hesse & p. Wapnish , An Archaeozoological perspective on the Cultural use of Animals in the Levant, in; A History of the Animals in the Animal World in the Ancient Near East , (Boston , 2002),457ff

انطوان مورنكات، الفن في العراق القديم ، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، (بغداد، ١٩٧٥) ، ٤٣

⁴ P. Anus, "Un domaine thébain d'époque 'amarnienne'. Sur quelques blocs de remploi trouvés à Karnak", *BIFAO* 69 (1971), pp.69-88

حديقة بديعة مليئة بالأسماك ، والنباتات المائية (شكل ٢) ، كما نوصل الأثريون إلى وجود حدائق ملحقة بالمعابد كمعبد الملك منتوحتب- نب- حبت - رع ، أو ملحقة بالقصور كقصور ماري ورأس شمرا وبابل... وغيرها، وقد اشتملت بعض النصوص في الشرق الأدنى القديم ما يفيد الانسراح الذي ينتج عن قضاء وقت هادئ في تلك الحدائق^٥

ومنذ عصور قديمة ظهرت ظاهرة امتلاك الحيوانات وجلبها من الأراضي البعيدة رغم التكاليف الباهظة من أجل الإمساك بها وجلبها ، ويغلب على الظن أن أقدم محاولات استئناس الحيوان قد بدأت منذ عشرة آلاف عام ق.م. ، ومع ذلك لم تكن فكرة جمع الحيوانات الوفيرة إلا في الحضارات المترفة في الشرق الأدنى القديم حوالي ٣٠٠٠ ق.م. ، كما أن اصطلاح حدائق الحيوان كما هو معروف الآن لم يكن قائماً في تلك الحضارات القديمة في هذه الفترة الزمنية^٦.

ولم يكن الصيد في حد ذاته ذو أهمية بالغة في العالم القديم فقط ، بل كان يتحكم في البيئة مؤكداً على نجاح الصياد وأمان المجتمع بعد قيامه بصيد الحيوان المفترس .

ويمكن القول: إن الصيد كان أول ما احترفه الإنسان القديم ، وقد اختلفت الطبيعة في مصر القديمة وبلاد النهرين في عصورهما القديمة عن يومنا هذا مما أسفر عن وجود تنوع لفصائل مختلفة من الحيوانات التي لا تعيش فيهما اليوم^٧.

وقد استمرت عادة الاحتفاظ بالحيوانات في المنازل كالحوانات الأليفة ، والأسماك في برك وبحيرات صغيرة ، والطيور في أقفاص ، وكذلك من العادات المنتشرة في كل من حضارتي مصر القديمة وبلاد النهرين استخدام الصقور والأسود في رحلات الصيد والحروب^٨.

⁵ V.N. Kisling , Zoo and Aquarium History , Ancient Animal Collections to zoological Gardens,(2000), 1ff

⁶ F.S. Kleiner & C.J. Mamiya ,Gardener's Art through the ages , Vol.I, (2005), 34ff.

⁷ P.F. Houlihan, The Animal world of The Pharohs ,(Cairo,1996),41

جورج بوزنر ، معجم الحضارة المصرية القديمة ، ترجمة أمين سليم ، مراجعة سيد توفيق ، (القاهرة ١٩٩٢) ١٥٨ .

عن أهداف الصيد وتأصيله في مصر القديمة وبلاد النهرين انظر: فوزية عبد الله محمد ، حيوانات الصيد في جبانتي سفارة والجيزة وبلاد النهرين في الألف الثالث ق.م.(دراسة مقارنة) ، بحث مقبول للنشر نوقش بمؤتمر (الجيزة عبر العصور) المنعقد بكلية الآثار - جامعة القاهرة (في الفترة من ٤-٦ مارس ٢٠٠٨م).

⁸ D.J. Brewer& D.B. Redford, & Redford ,S. "Domestic plants and animals, The Egyptian Origins "(1943),114

V. N. Kisling , Zoo and Aquarium History ,10

كما كان يتم تصوير الصيادين الذين حالفهم الحظ والتوفيق، ومعهم ما تم صيده من حيوانات سواء في فنون مصر القديمة أو بلاد النهرين ، منها على سبيل المثال في مصر القديمة مناظر العودة بالصيد الثمين محمولا أو في أقباص وذلك كمنظر عودة الصيادين بظباء، وغزلان ، ووعول ، وكذلك سبع ولبؤة في قفص من مصطبة بتاح حتب وأخت حتب بسقارة (شكل ٣)^٩، كما مثلت كذلك العودة بأرانب وغزلان بريّة من أحد المقابر بالجيزة (شكل ٤)^{١٠}.

ويحتمل أن هذه الحيوانات كانت تودع بمكان يشبه حديقة الحيوان الحالية ، وذلك لإدخال البهجة والسرور على أصحابها ، وهذا بالنسبة لكل من حضارتي مصر القديمة وبلاد النهرين^{١١}.

وقد شاعت مناظر تمثل تسمين بعض الحيوانات في كل من مصر القديمة وبلاد النهرين ، ومنها في مصر القديمة في عصر الدولة القديمة ما جاء على جدران مقبرة مريروكا حيث يتم تسمين الوعول أو الضباع لتصبح في حالة أفضل ، وكانت توضع علي ظهرها حتي لا تقاوم من يقومون بإطعامها ، ولعل المرء يتساءل إذا ما كان المصريون القدماء كانوا يطعمون الضباع باليد لحوما ، ولا يزال هذا الأمر محل جدل^{١٢}

^٩ Davies, N de G. The Mastaba of Ptahhotep and Akhethotep at saqqara , Vol.1 (1900)

^{١٠} وليم نظير ، الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ، شكل ٤٩ ، ٥١ ، ص ١٠٢ ، ١٥٤

^{١١} Trümpelmann , Jdg , im Reallexikon der Assyriologie, Band 5, (1980) , 236ff.

وليم نظير ، الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ، شكل ٤٩ ، ٥١ ، ص ١٠٢ ، ١٥٤

G.Reisner , A History of Giza Necropolis , (1942),p.422ff,pl.31b.(G 2110)

W.S.Smith, A History of Egyptian Sculpture and paintin in the old kingdom ,

(Oxford ,1949),fig.163,p.305ff

^{١٢} Duell& Others The Mastaba of Merruka , Vol.I ,pl.152,153

E. d' Amicone, De la nature de l'art , (Nice , 2005),p.42,fig.29

F.Dunald,&R. Lichtenberg , Des animaux et des hommes , Une Symboise Égyptienne

,(2005),p.48

Janssen , Egyptian Household Animals, V.1, Ancient Egypt, p.53, fig.43

مرزوق السيد أمان، الرعي والرعاة في مصر القديمة ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ١١٦ شكل ١٢٩

وعن تمثيل فحص وعلاج الحيوانات المريضة (المقدسة) في المناظر المصرية القديمة في الدولة الوسطي انظر :هيام حافظ رواش ، الحيوان المقدس (أماكن إعاشته ودوره في الطقوس والأعياد المصرية المقدسة) ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، (القاهرة ، ٢٠٠٣)، ص ٢٣٧
عن أسماء الوعول والضباع في اللغة المصرية القديمة انظر:

D.Patron , Animals of Ancient Egypt (1994),p.13,23

D.J.Osborn &J.Osbornova, The Mamals of Ancient Egypt, IV, p.158,97

ومن أمثلة ما جاء في بلاد النهرين من مناظر إطعام الحيوانات منظر على طبعة ختم اسطواني من حضارة الوركاء بمتحف بغداد ، ويرمز هذا الإطعام أحيانا إلى الصياد دموزى رمز النماء وهو يطعم شاة المعبودة إنانا (إنن) ،^{١٣} .

أولا: بعض الأدلة التصويرية والنصية على وجود (حدايق الحيوان) في مصر القديمة :

جاءت الرسوم الصخرية في الصحراء الشرقية والغربية دليلا على قدم تمثيل حيوانات الصيد في مصر القديمة كالأغنام ، والزراف ، والغزلان ، وأحيانا يمثل معها بعض الهياآت الأدمية لصيادين ومن حولها كلاب الصيد .
ومن أمثلة مناظر الصيد في عصور ما قبل التاريخ في مصر القديمة صلاية الفحل، والأسد والعقبان (شكل ٥)، والثور ، وسكين جبل العركى ، وبعض الصور الجدارية من مقبرة أحد النبلاء بالكوم الأحمر.^{١٤}
وقد نجح الرسام في تصوير ملامح الحيوانات وحركاتها أكثر مما نجح في تصوير ملامح الإنسان وحركاته ، كما صور الفنان مناظر الصيد ضمن بيئة الصيد الصحراوية ، وضمن تفاصيلها حيوانات سريعة من حيوانات الصحراء والحواف الزراعية ، كما صور أيضا على الصلايات والمقابض العاجية في أوائل الألف الثالث ق.م. حيوانات جبلية رائعة.^{١٥}

^{١٣} دليل متحف العراق ، (بغداد ، ١٩٤٣) ، ص ٧٧ ، شكل ١١ ج

^{١٤} D.J.Brewer & D.B.Redford & S. Redford , "Domestic plants and animals, The Egyptian Origins " , (1943),114

علي رضوان ، تاريخ الفن في العالم القديم ، ٥٨

^{١٥} H. Ranke, Alter und Herkunft der Ägyptischen " Löwenjagd - Palette", (Hiedelberg, 1925), taf.44,81

W.S. Smith, The Art And Architecture of Ancient Egypt,(New haven, 1998), fig.10-p.11

W.Wolf , Die Kunst Ägyptens , (Stuttgart , 1957),s.81,Taf.43-45

L. Trümpelmann, Jadv ,im Reallexikon der Assyriology, Band 5,(1980), 236

علي رضوان،الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات في مصر،(القاهرة ، ٢٠٠٤) ، ص ٩٧ شكل ٥١ ، ص ٩٨ شكل ٥٢ - ٦٠ ، ص ١٠٠
عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول، مصر والعراق ، (٢٠٠٤)، ٩٧،

فمنذ عصور قديمة جلبت الحيوانات كالأفيال ، والزراف ، والنعام ، والقروود وغيرها إلى مصر القديمة كجزء من الجزية الواردة من النوبة أو بلاد الشام والتي كانت في الغالب يتم الاحتفاظ بها من قبل الملوك وعائلاتهم.^{١٦}

ولعل النصوص التاريخية المبكرة التي تذكر تلك الحيوانات الواردة هي نصوص الدولة القديمة ، فقد جاء في حوليات الملك ساحورع ثاني ملوك الأسرة الخامسة ما يدل على الاتصال ببلاد بويئة ، والتي قصد بها المصريون منطقة الصومال واريتريا ، وربما ضموا إليها فيما بعد ما يقابلها من الجنوب والجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية ، وقد استوردت مصر من بلاد بويئة البخور ، والمر ، والصموغ لطقوس المعابد وضرورات التحنيط ، كما استوردت أقماما ، وجلود الفهود ، والنمور ، والحيوانات النادرة.^{١٧}

كما تصور مناظر المعبد الجنازي للملك ساحورع رحلة الذهاب والعودة من سوريا وإحضار دب سوري إلى مصر القديمة^{١٨}، وتدل حوليات الملك بيبي الثاني الذي ولي العرش طفلا في الأسرة السادسة على أن قائده أحضر معه لبلاط الملك من أسواق الجنوب قزم راقص من بلاد إيام ، كما أحضر من صيد متاجرها وهداياها.^{١٩}

وقد استمر الملوك في جمع النباتات والحيوانات الجليية وخاصة في الدولة الحديثة حيث صورت جدران معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحري رحلتها الشهيرة إلى بلاد بويئة للحصول على شتلات من نبات المر للبدء في زراعتها في مصر على الرغم من تكلفته الكبيرة .

وقد عادت الرحلة بكميات كبيرة من الذهب وثمار البخور الجيد ، وأشجار الكندر، والأبنوس ، والعاج ، وجلود الفهود والنمور ، وكميات من الكحل ، ومجموعة من كلاب الصيد ، والزراف ، والقروود لحديقة الحيوان الملكية ، وكان قد صحب الرحلة فنانون كثيرون قاموا بتسجيل ونقش مناظر الرحلة ومرآحتها على جدران المسطح

¹⁶ K.P. Foster , Ancient Egypt , Zoos and parks , mangeries and gardens , (Boston ,2003), 3

¹⁷ Urk.I, 246

عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ١٩٣

¹⁸ K.P. Foster , Garden of Eden : Exotic Flora and Fauna in the Ancient Near East ; in: Middle Eastern Natural Environments ,Bulletin 103,325

¹⁹ Ibid., 326;Urk.I.129ff

الأول من معبدها في الدير البحري ، وقد صرحت الملكة في حولياتها أنه " لم يجلب قط ما يشبه هذا من قبل لأي ملك منذ بدء الخليقة".^{٢٠}

ولقد توسعت مصر في عصر الدولة الحديثة نحو الجنوب في النوبة ، ونحو الشرق في بلاد الشام وبلاد النهرين ، وفي عهد الملك تحتمس الثالث توسعت الإمبراطورية المصرية ، وسجلت حولياته أخبار حملاته وفتوحاته، وعلى جدران قاعة الاحتفالات الخاصة به في معبد الكرنك صور ما يربو على ٣٠٠ نوع من النباتات والحيوانات ، مما ينم عن حقيقة وجود حدائق نباتات وحيوانات في مصر القديمة والتي غالباً ما كانت تلحق بالقصر الملكي منذ عصر الدولة القديمة ، وقد احتوت حديقة الملك تحتمس الثالث على أربعة طيور جلبها تعد أول فصائل الدواجن في مصر القديمة.^{٢١}

وقد عكست رسوم ونقوش مقابر عدد من كبار الموظفين في الدولة الحديثة العلاقة الوثيقة بين مصر القديمة والأقاليم التي تجلب منها الحيوانات الفريدة والغريبة عن البيئة المصرية ، فعلى سبيل المثال مصاحبة (أمون - إم - حب) للملك تحتمس الثالث إلى سوريا وقيامه بصيد عدد كبير من الأفيال ، كما حصل على حيوان من فصيلة الضبع.^{٢٢}

أما رخميرع وزير تحتمس الثالث فقد صورت علي جدران مقبرته (TT100) بطيبة العديد من الحيوانات الواردة من مناطق عديدة ومنها علي سبيل المثال منظر قرد متعلق برقبة زرافة.^{٢٣}

وقد احتفظ اخناتون بأسد في حديقة قصره ، كما صورت حدائق مسورة تبدو كما لو كانت حديقة للحيوان خاصة بالملك احتوت على غزلان وغيرها ، كما توجد بها بحيرة

²⁰ Abdel -Aziz Saleh " Some Problems relating to the Punt reliefs at Died el Bahari"(JEA,1972),140-148

K.A.Kitchen, Punt and how to get there, (*Orientalia* 40,1971) , 184
W.S.Smith , The Land to Punt ,(JARCE 1,1962),59ff.

عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ٣٠٨-٣٠٩

²¹ N. Beaux , Le Cabinat de curisités de Thutmosis III , plante et animaux du "jardin butanique" de Karnak , Leuven *Orientalia Lovaniesia* Analecta 36
K.P.Foster , Garden of Eden : Exotic Flora and Fauna in the Ancient Near East ; in: Middle Eastern Natural Environments , Bulletin103, 326

²² M. Davies, Amenemhab encountering a hyena , (*JEA*26,1940), 82

²³ K.P.Foster , op.cit.,327

ربما احتوت على أسماك ونباتات مائية ، وزرعت الحديقة بنخيل الدوم ونخيل البلح وأيضا شجر الجميز والزهور.^{٢٤}

واستمر الاهتمام بتلك الحدائق في عصر الأسرة التاسعة عشرة وما تلاها ، وقد بنى الملك رمسيس الثاني عاصمته بررعسيس في شرق الدلتا ، وقد امتلك حديقة حيوانيه ونباتيه رائعة مزروعة بنباتات وأشجار العنب والزيتون ، ومما دل على ذلك أنها احتوت على عظام الحيوانات الضخمة كالأسود والأفيال وربما الزراف أيضا.^{٢٥}

وجدير بالذكر أن الحيوانات قد أخذت مكانة كبيرة في النصوص المصرية القديمة، فقد لعبت حوالي ٨٠٠ علامة هيروغليفية دورا في كتابة اللغة المصرية القديمة، منها حوالي ١٧٦ علامة تمثل حيوانات أو أجزاء من حيوانات، كما يرجع استخدام الحيوان مجازا في الكتابة والأدب على ما يبدو إلى إحساس المصريين بالانسجام بين الطبيعة وتحكم الإنسان فيها.^{٢٦}

ثانيا: بعض الأدلة التصويرية والنصية على وجود(حدائق الحيوان) في بلاد النهرين:

طابقت النصوص العراقية القديمة الدافع لحياة الحيوان ووجوده مع الخبرة والتخيل الإنساني في مواضع مختلفة ، كما ميزت النصوص السومرية و الأكادية الحيوانات عن الإنسان وعن الأرواح والمعبودات ، وقد شارك الحيوان الإنسان في النصوص التذكارية المعبرة عن صفاته الإنسانية كالشباب والشيخوخة والموت والفخر والغضب والألم والخوف والنظام وغيرها ..^{٢٧}

ولقد مثلت الحيوانات في فنون بلاد النهرين بصورة أقرب ما تكون للمناظر الطبيعية ، وإن كانت ذات صلة بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية^{٢٨}، وهناك تشابه واضح في تمثيل الحيوانات في كل من فنون بلاد النهرين وفنون إيران القديمة من

²⁴ A.Pierre , "Un domaine Thébain d'époque amarnienne" sur quelques blocs de remploi trouvés à Karnak , (BIFAO 69,1971),69ff

Petrie, W.M.F. Tell El Amarna , Vol.VI , 1894.

²⁵ E.P.Uphill , Egyptian towns and cities , (2001),62-65

K.P.Foster , Ancient Egypt , Zoos and parks , mangeries and gardens , (Boston , 2003),3

²⁶ Gardiner , A . Egyptian Grammar ,Oxford ,1975.

E . Teeter, Animals in the Literature, in: A History of the Animal World in the Ancient Near East , (Boston , 2002),251

²⁷ B.R.Foster , Animals in Mesopotamian Literature, in: A History of the Animal World in the Ancient Near East , (Boston , 2002),271ff.

²⁸ C.Breniquet , Animals in Mesopotamian Art , in: A History of the Animal World in.....,145ff.

حيث الأطر الجوهريّة للأشكال الحيوانية والمعاني الثرية لرموزها ، كما يمكن الجزم بأن هذه الهيئات قد ارتبطت في كلتا الحضارتين بالبلاط الملكي إلا أن المحتوى الديني والاجتماعي قد يختلف أحيانا.^{٢٩}

ولقد ورد في معظم فترات بلاد النهرين نصوص أو نقوش تشير إلى حيوانات واردة إليها ، ففي النصوص السومرية وصف على لسان المعبودة "إنانا" لمدينتها العظيمة "أكاد" في أعقاب الضعف الذي حل بها قائلة: " القرود والفيلة القوية وجاموس الماء والحيوانات الرائعة قد صدم بعضها بعضا في الميدان العام " ، والذي ربما يقصد به مكانا كانت تودع فيه تلك الحيوانات ، كما تضمن فناء النخيل الملكي في ماري (حوالي ١٨٠٠ ق.م.) ديبه ونوع من الطّباء ورد من عيلام.^{٣٠}

وقد وصفت نصوص سومرية كيف هاجرت المعبودات لزيارة معابد بعينها لإعجابهم بحدائقها ، وتعتبر حدائق بابل المعلقة الشهيرة إحدى عجائب العالم القديم فطبقا لمصادر لاحقة أمر الملك البابلي نبوخذ نصر باستجلاب الأشجار والشتلات النادرة من أجل الملكة الميدية لتصبح البيئة أقرب قليلا من وطنها ذي الطابع الجبلي.^{٣١}

وأصبحت الحدائق والمنتزهات الملكية الكبرى في العصور الآشورية والبابلية التالية شائعة بصورة كبيرة (من ١٠٠٠-٣٣٠ ق.م.) ، حيث احتفظ الملوك بالأسود في أقباص أو داخل حفر منذ عصر أسرة أور الثالثة ، كما احتفظ بعض الملوك بطيور الكركي ، ومالك الحزين ، والطاووس ، والبجع كطيور مستأنسة داخل أقباص متحركة، أما الحيوانات المفترسة فقد استخدم منها الأسد في الصيد ، تلك الرياضة الملكية التي تمت ممارستها بشكل كبير في الحدائق الملكية.^{٣٢}

²⁹ M.C.Root, Animals in the Art of Ancient Iran , in: A History of the Animal World in....,169ff.

³⁰ D.J. Wiseman , Mesopotamian Gardens , Anatolian Studies 93, 137ff

³¹ I.J. Finkel , The hanging gardens of Babylon , in: Seven Wonders of the Ancient World , p. Clayton and M. price , (London ,1988),38-58

S. Dally , Nineveh , Babylon and The hanging gardens ; Cuneiform and Classical Sources reconciled, (Iraq 56), 45-58

^{٣٢} عن الحدائق الملكية في بلاد النهرين انظر:

A.L. Oppenheim,On Royal Gardens in Mesopotamia , JNES24 ,No.4,pp.328-333

ومن مجموعات الحيوانات في الحدائق الملكية الأفيال ، والثيران ، والأسود ، والنعام ، والضباع ، والغزلان ، والأيائل ، والقروذ ، وقد استخدمت العائلات الملكية تلك الحدائق لاستقبال الضيوف والاستمتاع الشخصي.^{٣٣}

وتوالى الحملات العسكرية في العصر الآشوري الحديث وما يليه في العصر البابلي المتأخر (العصر الكلداني) ، وقد بلغ العراق القديم قمة مجده السياسي والعسكري خلال الألف الأول ق.م. ، ووصلت حدود آشور إلى البحر المتوسط وجبال زاغروس ، وعبرت نقوش الحوائط الملكية عن أحداث عصورها ، وأظهرت موضوعاتها اهتماما بتفاصيل الفتوحات العسكرية وأعمال قمع التمرد في الأقاليم الخاضعة لها .^{٣٤}

بالإضافة إلى أنه غالبا ما كانت تخدم تلك النقوش موضوعات الجزية من هذه الأقاليم ، وتصف النباتات والحيوانات الواردة لتعظيم مكانتهم كإمبراطورية عظيمة^{٣٥} ، وكان انضمام تلك الحيوانات لحدائق الحيوان الملكية حيويا وكان موضع فخر الملوك الآشوريين خلال القرن التاسع ق.م. ، فقد تباهى الملك آشور ناصربال الثاني بما جمعه من حيوانات في أحد نقوش قصره في نمرود قائلا: " لقد جمعت قطعانا وقمت بإكثارها ، ومن بلاد سافرت إليها ، وهضاب جزتها لاحظت أشجارا وبذورا قمت بجمعها " .

وتبدو في أحد نقوش قصر آشور ناصربال الثاني قروذ مقادة إلى بلاط الملك الآشوري مع مجموعة من الحيوانات الأخرى تضم فيلة ودببة وأيائل نادرة ومخلوقات بحرية (ربما من الدلافين والفقم وغيرها من البحر المتوسط) (شكل ٦) .^{٣٦}

ولجيش الملك شلمانصر الثالث قصة طويلة مع سوريا وملاقاة أمرائها من أهل الشام ، وقد صور فنانونه انتصاره على خصومه الأراميين وحلفائهم على قائم من الرخام الأسود ذو أربعة أوجه (يطلق عليه اصطلاحا المسلة السوداء - محفوظ بالمتحف البريطاني) ، وشكلت قمته على هيئة درجات صغراها هي أعلاها (على عكس المسلات المصرية مدببة الطرف) ، وقد حوت مناظره الغنائم وحملة الجزية

³³ N.V. Jr. Kisling , Zoo and aquarium history , Ancient Animal Collections to zoological gardens(2000),10

Hilzeimer, M. Elefant, Reallexikon der Assyriologie, Band 2, 1970.

^{٣٤} علاء الدين عبد المحسن شاهين ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث حضارات الشرق الأدنى القديم (القاهرة ، ٢٠٠٥) ، ٦٧-٦٩

³⁵ J.M. Aynard , Animals in Mesopotamia , Animals in Archaeology, (New york , 1972) , 42ff

³⁶ K.P.Foster , Garden of Eden : Exotic Flora and Fauna in the Ancient Near East ; in: Middle Eastern Natural Environments , Bulletin 103, 323

وبيئات الصيد ، ومن أطرفها تصوير جمال ذات سنامين ، وفيلة من منطقة مصري في سوريا ، وقردة بوجوه بشرية مفتعلة (شكل ٧).^{٣٧}

ولقد أنشأ الملك سرجون الثاني عاصمة جديدة في "خورسباد" ، وأحضر الفنانين المهرة لتأسيس هذا القصر ، وتأثرت نقوش "خورسباد" بفلسفة استخدام مساحات النقوش كاملة ، واتجه الآشوريون إلى مناظر الأراضي الغنية بالنباتات والحيوانات الواردة إليهم .

كما كانت مناظر الصيد من المناظر المهمة التي صور بها الملوك الآشوريين ومنها منظر الصيد بالسهم على أحد جدران قصر الملك سرجون الثاني في "خورسباد" مع حاشيته في غابة من أشجار الصنوبر التي تعيش فوقها الطيور ، وأحد الأتباع يحمل فوق كتفيه غزالا تم صيده ، ويحمل في يده اليمنى أرنا ميتا ، والمنظر محفوظ بالمتحف البريطاني.^{٣٨}

وقد أنشأ خليفته الملك سنخريب في العاصمة (نينوى) قصرا ، وصمم حديقة للحيوان بحديقة قصره بعناية فائقة مما دعاه إلى القول بأن (قصره لا يبارى) ، حيث اهتم بشكل خاص بتهيئة مواطن طبيعية لتربية حيوانات محلية أو جليبية .

وتؤكد النقوش في عصره نجاح تلك المزروعات فطيور مالك الحزين التي أتت من مكان بعيد قد عششت ، والخنازير وغيرها أنجبت ذرية كثيرة ، حيث يتضمن نقشها خنزيرة ولودا تمشي مع صغارها يسار النقش ، وفي القسم العلوي تكاد تختفي الأيائل بين أعواد القصب المتشابكة.

وترى كارين فوستر أن الحقائق المعلقة الأسطورية ليست من صنع الحاكم البابلي نبوخذ نصر من القرن السادس ق.م. وإنما تنسب للملك سنخريب ، وأنها كانت تبعد عدة أميال إلى شمال نينوي .

^{٣٧} عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ٧٧٩

انطوان مورتكات، الفن في العراق القديم ، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، (بغداد، ١٩٧٥) ، ٣٩٣ ، لوحات ٢٧٠ - ٢٧١

J. Pritchard , The Ancient Near East in Pictures , (New Jersey ,1954) , fig.103

^{٣٨} انطوان مورتكات ، المرجع السابق ، ٤١١ ، اللوح ٢٧٣

وقد اهتم آشوربانيبال بحدائق جده سنخريب ، واعتنى أيضا بحدائق النباتات والحيوانات في قصره والتي اهتم بها الملك البابلي نبوخذ نصر فيما بعد.^{٣٩}

ونجد نقشا يصور صيد الأسود في حديقة قصر آشور بانيبال في قصره الشمالي في نل قوينجيق في نينوى ، والتي امتلأت بالأشجار النادرة والبحيرات الممتعة ، و بواسطه مركب له مقدمة رشيفة برأس حصان ومؤخرتها مزينة برأس طائر نرى الملك وحراسه يقومون بصيد أسد في بحيرة ضحلة تعج بها الأسماك حيث يبدو الملك - بحجم أكبر من باقي الأفراد في النقش - مصوبا سهما على أسد يعدو في الماء ، وهناك أسد معلق في مؤخرة المركب قد تم صيده بالفعل ، أما الصف العلوي والسفلي فيمثل النباتات حول البحيرة ويجوب بها بعض الصيادين مسلحين ويطاردون الأسود على أطراف البحيرة في الحديقة،ويهم أسد في الصف العلوي بالقفز في الماء(شكل ٨).^{٤٠}

وجدير بالذكر أنه بعد استيلاء الفرس على مصر وبلاد النهرين كمقاطعتين لها تابع ملوك الفرس جمع الأحياء النباتية والحيوانية الغربية أو الطريفة ، لكنهم أبتدعوا مخططا مبتكرا لحدائقهم ، فاتخذت الحديقة الفارسية شكلاً مستطيلاً محصوراً ضمن جدران مرتفعة ، وكانت تقسم عادة إلى أربعة أقسام متساوية بواسطة قنوات تتقاطع حول بحيرة صغيرة .

وتشير فوستر إلى أن هذه الجنان المتقنة أطلق عليها pairi-daé أي(المحاطة بالجدران) ، وهو مصطلح حوله اليونانيون فيما بعد إلى paradeisos أي (الفردوس) - paradise ، وأن هذه الكلمة - من وجهة فوستر - أصبحت فيما بعد خلال الألف عام التالية مفهوما أساسيا في الفكر الديني لجنان عدن الموعودة ، والتي ذكرت في التوراة والقرآن.^{٤١}

³⁹ K.P. Foster , op. cit., 324ff

Greave, M-C. The Ships of the Ancient Near East,(1991), .57,124, fig.67

٤٠ انظر : فوزية عبد الله محمد ، (مراكب ال hippos في الشرق الأدنى القديم) ، بحث منشور بكتاب المؤتمر العاشر للإتحاد العام للآثاريين العرب(المنعقد في الفترة من ٣-٤ نوفمبر ٢٠٠٧) الندوة العلمية التاسعة ، دراسات في آثار الوطن العربي ، الحلقة الثامنة ، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٧ ، ١٨٢، وماتلاها.

⁴¹ K.P. Foster , op. cit., 324ff

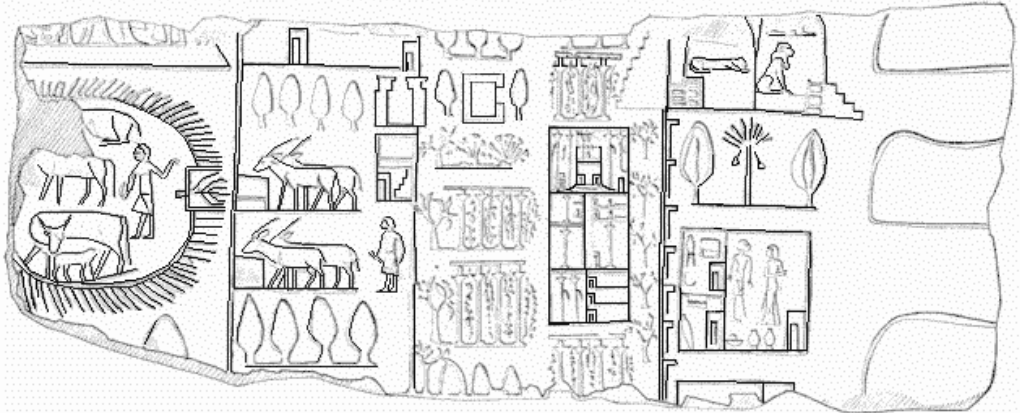
نتائج البحث

- ١- إن اصطلاح (حدائق الحيوان) كما هو معروف الآن لم يكن موجوداً في تلك الحضارات القديمة.
- ٢- بدأ الاهتمام بالحدائق كجزء مهم من القصر أو المنزل وملحقاته في مصر القديمة وبلاد النهرين منذ عصور قديمة ، واقتراح الأثريون وجود حدائق ملحقة بالمعابد في كلتا الحضارتين .
- ٣- إن الوسيلة الرئيسية منذ القدم للحصول على الحيوانات كانت: الصيد ، أو التجارة، أو الغنائم ، وقد ثبت أن هذه الحيوانات كانت تودع بمكان يشبه حديقة الحيوان الحالية وذلك لإدخال البهجة والسرور على أصحابها .
- ٤- جلبت أغلب الحيوانات الوافده كالأفيال والزراف والنعام والقروود وغيرها إلى مصر القديمة وبلاد النهرين كجزء من الجزية الواردة إليها من المناطق التابعة لها ، و كان الملوك وعائلاتهم في الغالب يحتفظون بهذه الحيوانات .
- ٥- عبرت الرسوم والنقوش في كل من مصر القديمة وبلاد النهرين على مر العصور عن الحيوانات النادرة التي وردت إليها وتم الاحتفاظ بها في حدائق القصور الملكية.
- ٦- من مجموعات الحيوانات في الحدائق الملكية في مصر القديمة وبلاد النهرين : الأفيال، الثيران ، والأسود ، والنعام ، والضباع ، والغزلان ، والأيائل ، والقروود، وقد استخدمت العائلات الملكية تلك الحدائق لاستقبال الضيوف والاستمتاع الشخصي.
- ٧- ورد ذكر تلك الحيوانات والنباتات النادرة على لسان المعبودات في مصر القديمة وبلاد النهرين حين سرد أحداث بعينها، أو الملوك للتباهي بجمعها وجلبها من أماكن بعيدة .
- ٨- تدل بعض النصوص والنقوش على أن من أهم ملوك مصر القديمة الذين اهتموا بجمع النباتات والحيوانات النادرة:في الدولة القديمة ساحورع ، و بيبي الثاني ، وفي الدولة الحديثة حتشبسوت و تحتمس الثالث ، و أخناتون ، و رمسيس الثاني.

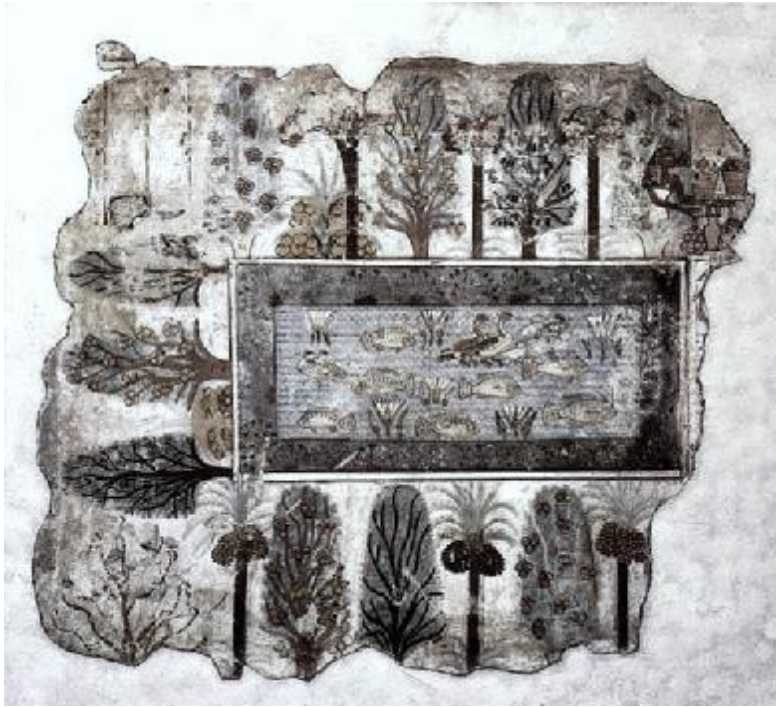
٩- تدل بعض النصوص والنقوش على أن من أهم ملوك بلاد النهرين الذين اهتموا بجمع النباتات والحيوانات النادرة في العصر الآشوري الحديث : الملوك آشور ناصربال الثاني ، و شلمانصر الثالث ، وسرجون الثاني ، وسنخريب ، آشوربانيبال .

١٠- كان بعض الملوك يمارسون هواية الصيد داخل بعض حدائقهم الملكية الشاسعه والتي بدت كمحميات طبيعية للحيوانات النادرة لا تستحل إلا لهم ولذويهم فقط .

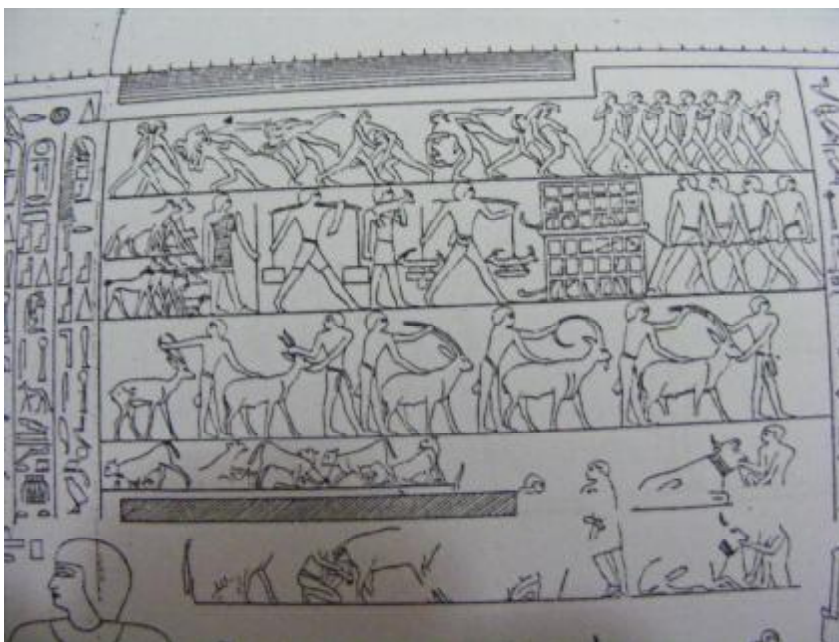
١١- استمر ملوك الفرس في جمع الأحياء النباتية والحيوانية الغربية بعد استيلاءهم على مصر وبلاد النهرين كمقاطعتين تابعتين لهم ، كما أبدعوا في تخطيط مبتكر لحدائقهم .



(شكل ١) حديقة الحيوان في القصر الملكي في تل العمارنة - عصر أخناتون - الأسرة الثامنة عشرة
Pierre Anus, "Un domaine thébain d'époque 'amarnienne'. Sur quelques blocs
de remploi trouvés à Karnak", *BIFAO* 69 (1971), pp.69-88

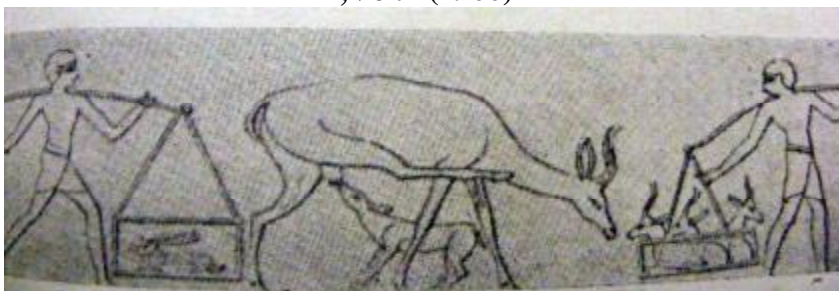


(شكل ٢) رسوم ملونة تمثل حديقة ملحقة بمنزل - مقبرة نب آمون - الأسرة ١٨ - المتحف البريطاني
Davies, N. de G. *The Tomb of Menkheperasoneb and Another*, New York, 1943.



(شكل ٣) عودة الصيادين بظباء وغزلان ووعول وسبع ولبؤة في قفص - مقبرة بتاح حتب وأخت حتب - الأسرة الخامسة - سقارة

Davies, N de G. The Mastaba of Ptahhotep and Akhetotep at saqqara ,Vol.1 (1900)



(شكل ٤) العودة بأرانب وغزلان برية - الدولة القديمة - إحدى مقابر الجيزة
وليم نظير ، الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ، شكل ٤٩ ، ٥١ ، ص ١٠٢ ، ١٥٤



(شكل ٥) صلاة الأسد والعقبان

W.Wolf ,Die Kunst Ägyptens ,(Stuttgart ,1957) taf.202,p.236.



(شكل ٦) قروود مقتادة إلى ديوان الملك الآشوري (آشور ناصر بال الثاني) مع مجموعة من

الحيوانات الأخرى

D. Stephanie , Nineveh ,Babylon and the Hanging Gardens ,Iraq 56, 1994 ,
45-58



(شكل ٧) جزء من نقوش ما اصطلاح على تسميته (المسلة السوداء) - تمثل مناظر الجزية الواردة في عهد شلمانصر الثالث منها حيوانات كالقيلة والجمال ذات السنامين انطوان مورتكات، الفن في العراق القديم ، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ، (١٩٧٥) ، ص ٣٩٣ ، لوحات ٢٧٠ - ٢٧١



(شكل ٨) نقش يمثل الملك سرجون الثاني في قارب ببجيرة حديقة قصره الملكي في نينوى - يقوم بصيد الأسود مع أتباعه

Greave, M-C. The Ships of the Ancient Near East,(1991), .57,124, fig.67